# من مظاهر الإعجاز القرآنيّ (2)
## بلاغة الإثباتِ والحذفِ في القُرآن الكريم

الإثباتُ معناه: ذِكرُ الشَّيءِ، وهو الأصلُ، والحذفُ خُلْفٌ عنه، ولكلٍّ منهما أغراضٌ بلاغيَّةٌ، خاصَّةً في تركيبٍ مقصودٍ بأوضاعه ومعانيه كالقرآن الكريم؛ ليس فيه شيءٌ يردُ دون قصدٍ، ولو شئنا تقريبًا لهذه القضيَّة لقلنا:

إنَّ الحذف والإثبات قد يقعان في كلمة (حذف حرفٍ من كلمة أو إثباته)، وقد يقعان في تركيبٍ (حذف كلمة من الجملة أو إثباتها، وعلى ذلك سنجعله قسمين كالآتي:

**1- الضَّربُ الأوَّل: حذفُ حرفٍ من الكلمة أو إثباته**

أ- مَرَدُّ هذه المسألة في اللُّغة: أمَّا هذه المسألةُ؛ فإنَّها في عُمومها مبنيَّةٌ على القاعدة اللُّغويَّة الَّتي تقرِّر أنَّ (الزِّيادة في المبنى تساوي الزِّيادة في المعنى)[1]، أي: كلَّما زادت حروف الكلمة؛ كلَّما زاد المعنى وقَوِيَ، وفي هذا الصَّدد يقول ابنُ جِنِّي رحمه الله (ت:392هـ): «هذا فصل من العربية حسن؛ منه قولهم: خَشُنَ واخشوشن. فمعنى خشن دون معنى اخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو. ومنه قول عمر ﷺ: اخشوشنوا وتمعددوا: أي اصلبوا وتناهوا في الخشنة. وكذلك قولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا: اعشوشب. ومثله حلا واحلولى، وخلق واخلولق، وغدن واغدودن. ومثله باب فعل وافتعل، نحو قدر واقتدر. فاقتدر أقوى معنًى من قولهم: قدر[...] وعليه عندي قول الله ﷻ: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾[البقرة:286]، وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة، أمر يسير ومُستَصْغَرٌ»[2].

وليس أسلوب القرآن الكريم بمعزل عن هذه القضيَّة، إذ نجدُ فيه حذف أحرف بعض الكلمات؛ إمَّا دلالةً على قلَّة الحدث مُقارنةً بقرينه الَّذي لم يُحذف منه، أو أنَّ زمنه أقصرُ، أو

---

[1] هذه القاعدة أغلبيَّةٌ وليست مُطَّردةً؛ إذ قد تنعكسُ؛ فتدلُّ قلَّة المبنى على كثرة المعنى، كما نجد في بعض جموع التكسير، من قبيل: تمرةٌ وتمرٌ، وشجرةٌ وشجرٌ.

[2] ابن جِنِّي، الخصائص، ج3، ص268.

أنَّهُ أخفُّ، أو أنَّ المقامَ مقامُ إيجازٍ يُناسبُه الحذفُ[1]، أو غيرها من الأغراض الكثيرة الَّتي تُلتَمَسُ من كلِّ موضعٍ بحسبه.

ب- أمثلةٌ على حذف حرفٍ من الكلمة أو إثباته في القرآن الكريم:

الأمثلة على هذه القضيَّة في القرآن الكريم كثيرةٌ، غيرَ أنَّ من أهمِّ ما يُبيِّنُها:

- قول الله ﷻ في سورة الكهف، يصفُ يأجوج ومأجوج لما بنى ذو القرنين السَّدَّ واحتجزهم فيه: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾[الكهف:97]؛ فحذف من الفعل التاء في الموضع الأول (اسطاعوا)، وأثبتها في الموضع الثَّاني (استطاعوا)، وهو أنسب شيء وأعدله؛ إذ جعل اللفظ الأخفَّ للفعل الأخفِّ، والفعل الأثقل لفظًا للفعل الأشدِّ الأعسر معنًى؛ «فجيء أولاً بالفعل مخففاً عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السدّ والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخففاً مع الأخف، وجيء به تاماً مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب»[2].

- من الأمثلة الَّتي تقرِّبُ هذه القضيَّة كذلك، في سورة الكهف بالذَّات قولُ الله ﷻ حكايةً لقول الخَضِرِ لموسى عليهما السلام في الموضع الأوَّل: ﴿**سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الكهف:78]، وفي الموضع الآخر: ﴿**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الكهف:82]؛ بإثباتِ التاء في الآية الأولى (تستطع)، وحذفها في الآية الثَّانية (تسطع)، مع أنَّ الفعل واحدٌ في المرَّتين، وقد رُوعِيَ في ذلك ما ذكرنا ابتداءً، من أنَّ اللَّفظ الأثقلَ يُجعَلُ للمعنى الأثقل، والعكس بالعكس.

ففي الموضع الأول الَّذي أُثبِتت فيه التَّاءُ من (تستطع)؛ روعِيَ الهمُّ النفسي والشعوري الثقيل الذي وقع فيه سيدنا موسى ﷺ حين عاين الأفعال الغريبة الثلاثة من سيدنا الخَضِرِ ﷺ.

---

[1] يُنظر: السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآنيِّ، ص9.

[2] ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ج2، ص323-324. ويُنظر كذلك: عطية سالم، السؤال والجواب في آيات الكتاب، ص302-303.

فلمَّا عرف موسى عليه السلام تأويل الأفعال الثلاثة، وأن الخضر عليه السلام كان فيها على صوابٍ؛ اطمأنَّت نفسُه وهان عليه الأمرُ، فَحُذِف من الفعل (تسطع) دلالةً على تلك الخِفَّة والرَّاحة الَّتي وجدها[1].

– من الأمثلة على هذا أيضًا، كلمة (نَبْغِي) في موضعي يوسف والكهف؛ بإثبات الياء أوَّلاً (نبغي) في سورة يوسف، في قوله تعالى حكايةً عن إخوة يوسف: ﴿**وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ**﴾[يوسف:65]، وفي سورة الكهف بالحذف (نَبْغِ)[2]، في قوله عز وجل: ﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[الكهف:64-65].

والحكمة في ذلك والله أعلمُ، أنَّ الياءَ أُثبِتت في سورة يوسفَ (نبغي)، لأنَّ زيادة الطَّعامِ الَّذي سيمتارونه (يتزودونه) لأهلهم، باصطحاب أخيهم معهم كانت بغيتهم الحقيقيَّة ومقصودهم الأساس، فكأنَّهُ أُشِيرَ إلى هذا المعنى بإثبات الياء في الفعل.

فيما حُذِفت الياءُ (نَبْغِ) من موضع الكهف، لأنَّ فقد الحوت لم يكن غرضًا لهم بالأساسِ، وإنَّما هو أَمَارةٌ على ما بعدَهُ، وهو وُجُودُ الخَضِرِ عليه السلام، فكأنَّهُ حُذِفت الياءُ من الفعل إشارةً إلى هذا المعنى[3].

– من الأمثلة كذلك، كلمتا (لا تفرَّقُوا، ولا تتفرَّقُوا) في موضعي آل عمران والشورى؛ أمَّا الأوَّل فقول الله عز وجل: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾[آل عمران:103]، وأمَّا الآخر فقوله سبحانه: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾[الشورى:13]؛ إذ حُذِفت التَّاءُ من الموضع الأوَّل (لا تفرَّقُوا)، وأُثبِتت في الموضع الثَّاني (لا تتفرَّقوا)، وما ذلك والله أعلمُ، إلاَّ لأنَّ الخطاب في آية آل عمران للأمَّة الإسلاميَّة،

---

[1] يُنظر: صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص243-244.

[2] هي هكذا بالحذف على قراءة عاصم، أمَّا عندنا على قراءة نافعٍ؛ فإنَّها بياءٍ زائدة (نَبْغِ ي)، والياءاتُ الزوائد كما هو معلومٌ ما ثبت وصلاً وحُذف وقفًا.

[3] يُنظر: الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص248-249.

وهي أمَّةٌ واحدةٌ، فناسبَ أن يأتي الفعلُ مُجْتَزأً على تاءٍ واحدة. فيما آية الشورى في أمم متعدِّدة على أزمنةٍ مُتطاولة، فناسب أن يأتي الفعل بالصيغة الأطول بإثباتِ التَّاء (تَتَفرَّقُوا)[1].

**2- الضَّربُ الثَّاني: حذف كلمةٍ من التَّركيب أو إثباتها**

الأصلُ كما تقرَّر سلفًا، الإثباتُ، وحذفُ كلمةٍ من التَّركيب لا يكون دون سبب، وإنَّما له أغراضٌ بلاغيَّةٌ كثيرةٌ، تختلف حسب السياقات المتباينة التي ورد فيها هذا الحذف، وحسب وظيفة الكلمة المحذوفة في التركيب من فاعلٍ إلى مفعول إلى حال إلى مبتدإ إلى خبرٍ، وغيرها[2].

ومن أمثلة هذه القضيَّة في القُرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾[الليل:5]، حُذِفَ مفعولا (أعطى)؛ لأنَّه في الأصل من (أفعال المنح والعطاء التي تتعدَّى إلى مفعولين) للدِّلالة على أنَّ المقصود صفة العطاء، وأنَّها شاملةٌ لعموم المعطَى (المفعول الأول)، وعموم المعطَى إليهم (المفعول الثاني)[3]، كما حُذِف مفعول (اتقى) للعلم به[4]؛ فلك أن تقول: اتقى اللهَ، أو اتقى النارَ.

- ومثله؛ في إفادة العموم قول الله ﷻ: ﴿**وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى**﴾[طه:79]، أي: (وما هداهم)، إذ حَذْفُ المفعول هنا، فضلاً عن الإيجاز ورعاية الفاصلة، أُخرِج مخرج العموم، أي أنَّ فرعونَ لا يتَّصف بالهداية مُطلقًا، فلو قال: (وما هداهم) كان عدمُ الهداية مُقيَّدًا بقومه فقط، ويَحتَمِل أنه هدى غيرَهم، لكنه قال: (وما هدى)، أي: ما هدى أحدًا قَطُّ.

وقريبٌ منه قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى**﴾[طه:122]، أي: (هداه)، إلاَّ أنَّه لما حُذف المفعول؛ عمَّتِ الهِدايةُ الجميعَ، أي هداه وهدى غيرَه، ولم يقصر الهداية على آدمَ عليه السلام[5].

- وقد يكون حذف المفعول به تكريمًا له وتعظيمًا، كما في قوله تعالى: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾[الضحى:3]، أي: (وما قلاك) والقِلى البغض والهجرُ، فأُكرِمَ جنابُ النبي ﷺ أن يُواجَهَ بالقلى اكتفاء بذكر المفعول في الموضع الأول (ما ودعك)، زيادة على الإيجاز ورعاية الفاصلة.

---

[1] يُنظر: السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص12-13.

[2] يُنظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص122-131.

[3] يُنظر: السامرائي، معاني النحو، ج2، ص95.

[4] يُنظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص382.

[5] يُنظر: السامرائي، معاني النحو، ج2، ص93.

– كما قد ينعكس الغرضُ، فيكون الحذف للاحتقار والإهانة، ومنه قوله تعالى: ﴿**كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيَ**﴾[المجادلة:21]، حُذِف مفعول (لأغلبن) والتقدير والله أعلمُ: (الكافرين) ولكن حذف احتقارًا لهم وتصغيرًا لشأنهم. كما يُمكن أن يُقال أن حذف المفعول هنا كذلك للعموم، بدليل: ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[يوسف:21][1].

* ثم إن هناك آياتٍ متشابهة التَّركيب في القرآن الكريم، إلاَّ أنَّها في موضعٍ بإثبات كلمةٍ، وفي الآخر بحذفها، ولهذا الحذف والإثبات علاقةٌ وطيدةٌ بكلِّ سياقٍ يرد فيه، وممَّا يُمَثَّلُ به على ذلك:

– قول الله ﷻ في سورة الفتح: ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ (لَكُمْ) مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[الفتح:11]، بإثباتِ الجارِّ والمجرور (لكم)، مع قوله سبحانه في المائدة: ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[المائدة:17] بحذفهما.

وما ذلك والله أعلمُ إلاَّ لأنَّ آيةَ الفتح نزلت في قوم مخصوصين؛ هم الأعرابُ الذين «تخلفوا عن رسول الله ﷺ من غير عذر، وتأخروا عن الجهاد، وقالوا: (شغلتنا أموالنا وأهلونا)، ثم سألوه ﷺ أن يستغفر لهم، يكتمون بذلك نفاقهم، ويُظهرون وفاقهم، وقصدهم استمالته، كيلا تضرهم عداوته، فقال ﷻ: ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ (لَكُمْ) مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا**﴾[الفتح:11]، فلما كان في قوم مخصوصين، احتيجَ إلى (لكم) للتبيين.

فأمَّا في هذه السورة [المائدة]؛ فإنها لم تنزل لفريق مخصوص دون فريق، بل عَمَّ، دليله: ﴿**إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[المائدة:17]، فلما سيقت الآية للعموم؛ لم تحتجْ إلى (لكم) التي للخصوص»[2].

– ومن ذلك قول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ (وَاحْذَرُوا) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ (فَاعْلَمُوا) أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[المائدة:92]، بزيادة (واحذروا) و(اعلموا) عن موضع سورة التغابن: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا**

---

[1] يُنظر: السامرائي، معاني النحو، ج2، ص93-94.

[2] الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج1، ص245-246.

**الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[التغابن:12]. مع اتحاد ما تضمنته الآيتان من الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله والتحذير من التنكب عن ذلك والتولي عنه.

قال ابن الزبير الغرناطي رحمه الله (ت:708هـ) في توجيهها: «والجواب عن ذلك والله أعلم: أن آية المائدة لما أعقب بها آية الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم أتبع بعد ذلك بذكر العلة فى تحريمها فقال تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر..﴾

الآيةَ، إلى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾؛ فختمت من التهديد بما يشعر بشديد الوعيد، ناسب ذلك قوله تأكيدا لما تقدم من الإشعار بمخوف الجزاء قوله: (فاحذروا) وقوله: (فإن توليتم فاعلموا) لما في ذلك من التأكيد لما تقدم.

أما آية التغابن؛ فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد، ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى: (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيءٍ عليم)، فلما لم يرد هنا نهيٌ عن محرم متأكد التحريم [...] لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هناك، فجاء كلٌّ على ما يجب ويناسب، وليس عكس الوارد بمناسب، والله أعلم[1]»[2].

– ومن ذلك زيادة (أنْ) في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿**فَلَمَّا (أَنْ) جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا**﴾[يوسف:96]، دلالةً على حالة الانتظار والترقُّب الَّتي كان يمر بها نبي الله يعقوب عليه السلام؛ فقد كان شديد اللهفة على رؤية ولده، والفصلُ بين (لما) الشرطية، ومجيء البشير بـ(أن) مناسبٌ أتمَّ المناسبة لتصوير هذا المعنى، خاصَّة مع تطويل الغنة في إخفاء (أن جاء)، قال السيوطيُّ رحمه الله (ت:911هـ): «لما كان مجيء البشير إلى يعقوب عليه السلام بعد طول الزمن، وتَبَاعد المدة، ناسب ذلك زيادة (أن) لما في مقتضى وَضعها من التراخي، فورَد كلّ من هذا على ما يجب»[3]. وقال الرافعيُّ رحمه الله (ت:1356هـ): «المراد بالثانية تصويرُ الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعد ما كان بين يوسفَ وأبيه عليهما

---

[1] لاحظوا أيها الكرامُ ورع هذا الإمام الجليل؛ مع أنَّه عالمٌ بارعٌ من أهل الِاختصاص، إلاَّ أنه لما كان الكلام في القرآن الكريم، وهو مظنة الدحض والمزلة، صدر كلامه بعبارة (والله أعلم)، وختم كلامه كذلك بها، فرحمه الله وجميع علماء المسلمين.

[2] ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص137.

[3] السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج3، ص293.

السلام وأن ذلك كأنه كان منتظراً بقلق واضطراب تؤكدهما وتصف الطربَ لمقدمه واستقراره، غُنةُ هذه النونِ في الكلمة الفاصلة؛ وهي " أن " في قوله: " أن جاء "»[1].

وهذا غيضٌ من فيضٍ، وإنَّما ندلل للقضيَّة ببعض ما ورد فيها، ولعل فيها مَقنَعًا.

[1] الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص159.